وقفة: مع الزواج

من خلال هذه الوقفة، دعني أحدثك أخي الكريم عن حديث خاطب به النبيّ صلى الله عليه وسلم شباب الأمة، وعمادَ حضارتها، قال في أوله:♂**يا معشر الشباب**ـــ، وقال الحسَن البصري رحمه الله: لم يقُلها في حديثٍ غيره على حدِّ علمنا.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم :♂**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنّه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرج..**ـــ، متفق عليه.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :♂**النّكاح من سنّتي، فمن لم يعمل بسنّتي فليس منّي، وتزوجوا فإنّي مكاثرٌ بكم الأمم، ومن كان ذا طَوْلٍ فلينكح**ـــ، رواه ابن ماجه.

فيا أيها الشاب المبارك، يا من حامت سنُّكَ على الثلاثين، بل يا من تجاوزت الثلاثين في العمر، يقولُ الصّديقُ رضي الله عنه وأرضاه: (أطيعوا الله فيما أمركم من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغِنى).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (التمسوا الغِنى في النكاح)، وقرأ قوله تعالى:{إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ} [النور: ٣٢].

فيا أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، الزواج سنّةُ نبيّكم صلى الله عليه وسلم ، وسنّة المرسلين جميعاً، وملّة الأنبياء، يقول الله تعالى:{ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗ } [الرعد: ٣٨]، وقال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: (لو لم يبقَ من أجلي إلا عشرة أيام - اسمع أيها المسلم حفظك الله تعالى - إلا عشرة أيام، وأعلمُ أني أموت في آخرها يوماً، ولي طول على النكاح فيهنّ، لتزوجتُ مخافة

الفتنة).

الله أكبر، ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه، يخاف الفتنة في ذلك الزمان، يخاف الفتنة بين صحابة وصحابيات، فكيف لا يخافها شبابنا اليوم، كيف لا يخافها الشباب في زمن الفضائيات، في زمن طرقات عجت بالمتبرجات، أوليس حريٌّ بشبابنا أن يتزوجوا، أليس جديرٌ بهم أن يقتدوا بنبيّهم صلوات ربي وسلامه عليه، ويسمعوا قول القائل: (لو لم يبق من عمري إلا أسبوعاً واحداً لأحببتُ أن أتزوج، قيل له: لماذا؟ فقال: لكي لا ألقى الله عازباً).

وقال إبراهيم بن ميسرة، قال لي طاوس: لتنكحنّ أو لأقولنّ لك ما قال عمر: (ما يمنعك عن النكاح عجز أو فجور).

فيا سبحان الله العظيم، المانع من النكاح عجزٌ أو فجور، فماذا يقول الشاب الذي عزف عن الزواج؟

وقال الإمام أحمد رحمه الله: (ليست العُزوبة من أمر الإسلام في شيء، ومن دعاك إلى غير التزوج دعاك إلى غير الإسلام).

فرحمَكَ الله يا أحمد بن حنبل، وصدقت والله، فمن دعاك إلى غير التزوج، دعاك إلى غير الإسلام.

وقال إمامنا مالك رحمه الله: (الإعراض عن الأهل والأولاد ليس مما يحبه الله ورسوله، ولا هو دين الأنبياء عليهم السلام).

فيا من رضيتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، ما الذي يمنع عن الزواج؟

بالله عليك أخي الحبيب، أيمنع عن النكاح عجز وتقصير، أيمنع منه تساهل وعدم مبالاة، أيمنع منه انسياقٌ وراء أعداء الدين، أم انجراف في سيل عاداتٍ جاهلية، وتقاليد اجتماعية، مخالفَةٌ لمنهج الكتاب والسنّة، أم يمنع منه إسرافٌ وتكاليفٌ باهظة ما أنزل الله بها

من سلطان؟

بحَقِ أمة محمد صلى الله عليه وسلم، كان الله في عون الضعيف الذي لا يقدر على تكاليف الزواج، ما ذنب هؤلاء؟

وما جريرةُ آلاف الفتيات اللاّتي مُنعن الأزواج، كفى بأولياء أمور هؤلاء البنات، كفى بهم طمعاً وجهلاً أن يعضلوهنّ، ويجعلوهُنَّ سلعةً معروضةً للمساومة، أين هؤلاء من السنّة، أين هؤلاء من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**إذا أتاكم من ترضَوْن دينَه وخُلُقَه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**═، رواه الترمذي.

أجهل هؤلاء أنه عند توفّر الدين، تذوب كل ألوان التفاخر؟ أنسيَ هؤلاء أنّ صفوة الخلق، وقدوةَ العالم، محمد صلى الله عليه وسلم زوَّجَ رجُلاً بما معه من القرآن، وقال للآخر صلوات الله وسلامه عليه: (التمس ولو خاتماً من حديد)، أخرجه مسلم.

وتأملوا أيها الفضلاء، فلم يقل له صلوات الله وسلامه عليه التمس خاتمًا من الألماس، ولا الذهب ولا الفضة، بل، ولو خاتماً من حديد.

ولم يُذكر عن أحدٍ من سلف هذه الأمة أنه غالى في مهر، أو أسرف في نفقة، أو باهَى بشيء مما عليه الناس اليوم، لأن منهجهم واضح، ومضبوط بمبدأ التيسير، لأن أسوتهم صلى الله عليه وسلم ، ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن حرامًا، فتبارك الله رب العالمين.

إنّ تعقيد أمر الزواج عباد الله، وردّ الأكفاء، يعني أيها الموحدون، يعني أيها المسلمون: فتح الباب على مصراعيه للفساد الخُلُقي، والانحلال والإباحية، فتح الباب على مصراعيه للزنا واللواط والاستمناء، ووضع الشهوة في الحرام.

إنّه يعني انتشار الرذيلة، وظهورَ الدعارة، وذهاب الحياء، وكثرة

الزنا، وانتهاك الأعراض، فالله المستعان.

الزواج يا شبيبة الإسلام، جمع الشمل، والتئام الشعث، وطمأنينة النفس، راحة الضمير، حصول الولد، عمارة الأسَر، فيه غض للبصر، وحفظ للفرج، وحرث للنسل، ومتاع للحياة، ففي الحديث عند ابن ماجه: ﴿**الدنيا متاع، وخير متاعها الزوجة الصالحة**﴾.

والمزعج في الأمر اليوم، هو كيفية الزواج، ففي أفراح الكثيرين إلا من رحم الله، من الإسراف ما حدّث ولا حرج، أطعمةٌ من مختلف الأصناف، ومشروبات لأخرى تُضاف، واستمرارُ الفرح لمدة من الأيام، هرْجٌ ومرَج، وصحون تتطاير وخيام، نعمة الله تُرْمَى وتُداس، أين هذا من موافقة السنة؟ أين هذا من قول الله تعالى: {إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾} [الإسراء: ٢٧].

وثمة أمر يجب التنبه له، والتنبيه عليه، وهو ما يحصل بين النساء في الأفراح، من تبرج وسفور، وعُرْيٍ للأبدان، ولباس يستحي منه الشيطان، تصويرٌ بالهواتف النقالات، وتناقُلٌ لصور النساء عاريات، أهذا هو النكاح الشرعي.

فلقد كان الحسَنُ البصري رحمه الله يقول لزوجته: أتذهبين إلى المعصية برجليك، وكان هناك إمام من الصالحين إذا سمع بقيام فرح، يضحَك ساعةً ويبكي أخرى، فقيل له ما هذه الحال يا إمام؟ فقال: (أضحَك فرحاً بشابٍّ يعُفُّ نفسَه، ويحصِّنُ فرجه، ويخرجُ فتاةً من الضياع، وأبكي من كثرة العصيان في الأفراح).

فماذا عسى هؤلاء أن يقولوا لو سمعوا بما يحدث في أفراحنا اليوم؟ والجواب لكم أيها الأخ المبارك، وأنت يا أختاه، وكونوا في الجواب منصفين.

وللنساء بخاصة، فاتقين الله أيتها النساء، وحذار حذار، من التبرج والسفور، حذار حذار من عصيان الغفور، هُدِمَتْ بسببه بيوت، وطُلِّقَتْ نساء، ويُتِّم أطفال، فالله المستعان.

ولتكن نساء النبي صلى الله عليه وسلم لكنَّ قُدوة، واتقوا الله أيها الرجال واعملوا بقول ربكم:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦} [التحريم: ٦].

واسمعن أيتها النساء قول ربكنّ لنساء نبيّه، وهنَّ من كنَّ؟ فلقد كن أتقى وأنقى، وأطهر وأعف:{يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ} [الأحزاب: ٣٢ - ٣٣].

فيا أولياء الأمور، ويا أيها الشباب، اللهَ الله في الزواج، فمن بلغ الباءة فليتزوج، والله الله في الأفراح، اضبطوها بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فالخير كل الخير في الإتّباع، والشر كل الشر في الإسراف والتبذير والابتداع.

قال الله تعالى:{وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٣٢} [النور: ٣٢].

وفي الحديث:♂**ثلاثة حُقَّ على الله عونهم – وذكر منهم – النّاكح يريد العفاف**ـــ، رواه الترمذي.

فيا إخوتي، شبابًا وفتيات، الزواج الزواج، والعفاف العفاف، غضوا بالزواج أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وكوّنوا أسرًا، وافتحوا بيوتًا، ونسأل الله لي ولكم التوفيق.

وقفة أيها الشاب، وقفة مع الزواج ومشروعيته، وفوائده وأهميته، تجعلك تُقدم عليه دون تردد، وتجعلك من الذين لن يتأخروا بعد هذه الوقفة عن الزواج، بل والله لو أخلصت النية، لتكونن لغيرك من الناصحين.

فاللهم إنا نسألك الهدى والتقى، والعفاف والغني، إنك قريب مجيبُ الدعوات يا رب العالمين.

* * *